

## الاحتجاج بكلام العرب عند النحاة

Ali AlKosibati

UIN Syarif Hidayatullah

ali.alkosibati@gmail.com

### ملخص

يقدم الباحث في هذه الورقة خلاصة للمبتدئين في دراسة علم النحو العربي، من أصول الاحتجاج والاستدلال التي اعتمدها النحاة في بناء أصول النحو وبناء القواعد النحوية، والشواهد المعتمد في بناء هذه القواعد. ويجيب من خلال هذا البحث عن أسئلة كثيرة تعرض لمتعلم النحو العربي خلال قراءته لكتب العلماء: ما سبب ظهور هذا العلم؟ وما هو عصر الاحتجاج؟ ومن هم القبائل العربية التي أخذت عنهم اللغة، وبنيت القواعد النحوية على ألسنتهم؟ ما الفرق بين الشاهد والمثال؟ وهل تبني القاعدة النحوية على شاهد شعري واحد لا يُعرف قائله؟! لماذا نجد كثرة في الشواهد الشعرية في كتب اللغة العربية، وقلّة بل نُدرّة للشواهد النثرية والحديث الشريف؟ . كيف يُحتج بكلام الجاهليين بل وبعض المولدين من الشعراء عند النحاة، ولا يحتج بكلام رسول الله ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد؟! . هذه الأسئلة وغيرها يجد القارئ أجوبتها خلال هذا البحث الموجز إن شاء الله .

الكلمات المفتاحية: الاحتجاج، النحو، كلام العرب، الشاهد.

## ABSTRAK

*Artikel ini sebagai simulasi dalam pembahasan metode istimbat hukum dalam pembangunan teori bahasa arab, membahas tentang sumber kaedah dan referensi yang menjadi dasar pengambilan bahasa, serta metode yang digunakan dalam menarasikan teori-teori bahasa arab, pertanyaan ini akan menjawab pertanyaan seputar bagaimana kaedah-kaedah bahasa arab lahir menjadi standar keabsahan bahasa? Secara lebih detail tentang batasan ash'ar ihtijaj? Kabilah-kabilah yang apa saja yang mempunyai peran penting dalam pembangunan referensi bahasa arab? Dan perbedaan susunan kata sebagai sumber bahasa atau hanya sebagai contoh?, dan bagaimanakah validasi syiir dan narasi lain dalam bahasa arab?, perdebatan tentang masa ke masa perkembangan bahasa dan kedudukannya dalam pembangunan teori bahasa arab, serta bagaimanakah kedudukan hadits dan narasi bahasa arab dalam penyusunan kaedah?.*

*Kata Kunci: Teori, Bahasa Arab, Ihtijaj*

## 1. التمهيد

### تعريف المصطلحات العلمية

احتجَّ احتجاجاً، هو مصدر من باب "الافتعال"، بمعنى: الاستدلال، وأصله من: الحجة، بمعنى: الدليل والبرهان. ويقال: احتج عليه؛ أي: أقام الحجة والبرهان عليه<sup>1</sup>.

وفي اصطلاح النحاة: إثبات صحة قاعدة نحوية أو صرفية بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة.<sup>2</sup>

والكلام المصطلح عليه عند النحاة: عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.<sup>3</sup>

والمقصود من العرب في الاحتجاج عند النحاة: القبائل البشرية التي عاشت في الجزيرة العربية خلال عصر الاحتجاج.

والنُّحاة: جمع نُحوي، من نحوْتُ نحو الشيء، أي: قصدته، فالنحو: القصد، ومنه النحو؛ لأن المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب إفراداً وتركيباً.<sup>4</sup>

### ظاهرة اللحن هي سبب ظهور علم النحو وضبط قواعد للغة

لما كثرت اختلاط العرب بالعجم إثر الفتوحات الإسلامية، وعاش العرب معهم في جميع نواحي الحياة، ونشأ عن ذلك أخذٌ وعطاء في اللغة والأفكار والأعراف، وشاع اللحن وانتشر الخطأ في اللغة العربية = تنبّه علماء ذلك العصر إلى أن الأمر آيلٌ إلى فساد اللغة والتفريط في صيانة الدين؛ لأن استنباط أحكامه موقوفة على حُسن فهم نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، فكان الضعف في العربية تضيق وتحريف للفهم الصحيح في نصوص القرآن والحديث؛ ولهذا يعتبر انتشار اللحن هو الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو من كلام العرب والاحتجاج لها.

<sup>1</sup> - الحِمَيْرِي، نشوان بن سعيد. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: حسين العمري. (دمشق، دار الفكر 1999). ج: 3. ص: 1300.  
- المرتضى الزَّيْدِي، محمد بن محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من الباحثين. (بيروت، دار إحياء التراث العربي 1984). ج: 5. ص: 468.

- أحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار. المعجم الوسيط. (القاهرة، مجمع اللغة العربية 2004). ص: 157.

<sup>2</sup> - الأفغاني، سعيد. في أصول النحو. (بيروت، المكتب الإسلامي 1987). ص: 6.

<sup>3</sup> - ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (القاهرة: دار التراث 1980). ج: 1. ص: 14.

<sup>4</sup> - الفيومي، أحمد بن محمد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (بيروت: المكتبة العلمية) ج: 2. ص: 596.

والقصة التي رواها الأصفهاني في كتابه الأغاني مشهورة في ذلك، "أنَّ أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته في وقت الحرِّ فقالت له: يا أبتِ ما أشدُّ الحرَّ! فظنها تسألُه وتستفهم منه عن أيِّ زمانٍ الحرُّ أشدُّ! 5، فقال لها: شهرٌ ناجزٌ 6، فقالت له: يا أبتِ إنما أخبرْتُك ولم أسألك !

فذهب أبو الأسود إلى سيدنا علي بن أبي طالب وقال له: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأخبره خبر ابنته ... فأملى عليه: أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. 7.

وروي عن أبي مُليكة قال: "قدم أعرابي في زمان عمر فقال: من يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل براءة (سورة التوبة)، فقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالجر! فقال الأعرابي: أو قد برئَ الله من رسوله! إن يكن الله برئاً من رسوله فأنا برئٌ منه. فبلغ عمرَ مقالته الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله؟! فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ}، فقلت: أو قد برئَ الله من رسوله! فإن يكن الله برئاً من رسوله فأنا أبرأ منه! فقال عمر ليس هكذا يا أعرابي، قال فكيف يا أمير المؤمنين قال: أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئَ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ألا يُقرئ الناس إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو. 8 و ذكر ابن جني حادثة الأعرابي هذه مع سيدنا علي، وأنه هو الذي رَسَمَ لأبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو. 9

ويقول في ذلك ابن خلدون:

"العربية ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا، فلما جاء الإسلام وفاقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم = تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السَّمع من المخالفات التي للمتعرِّبين من العجم. والسَّمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما

5 - لكونها رفعت "أشدُّ"، والرفع قرينة الاستفهام، أما النصب فهو علامة التعجب، فالإعراب حركات صوتيه في أواخر الكلم تدل على المقاصد المعنوية التي يريدتها المتكلم، فلا بد من توافق هذه الحركات في دلالتها مع مقاصد المتكلم وإلا فهو اللحن والخطأ في الكلام كما حصل مع ابنة أبي الأسود في هذه القصة.  
6 - أي هذا الشهر الحاضر.  
7 - الأصفهاني، أبو الفرج. كتاب الأغاني. (القاهرة، دار الكتب المصرية 1952). ج: 11. ص: 110  
8 - رواه المنقي الهندي في كنز العمال برقم: (4157).  
المنقي الهندي، علاء الدين. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: بكري الحيايني وصفوة السقا. (بيروت: مؤسسة الرسالة 1981). ج: 2. ص: 329.  
9 - ابن جني، عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1952). ج: 2. ص: 10.

ألقي إليها مما يغيرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مُطرَدَةً، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه؛ مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو.<sup>10</sup>

## 2. البحث

### عصر الاحتجاج

نظر علماء اللغة منذ البدايات عمن ينقلون عنهم اللغة من أهل البدو والمدن من العرب، فقبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية والإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، سواء أكانوا أهل بادية أم حَصْر. والذي حُفِظ ونقل إلينا من كلام العرب الجاهليين يبدأ من حوالي مئتي عام قبل ظهور الإسلام، كما يقول الجاحظ في كتابه الحيوان: "فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومئة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام"<sup>11</sup>

وكان آخر من يُحتج بشعره بالإجماع إبراهيم بن هرمة (ت: 176هـ)<sup>12</sup> وقد قال عنه الأصمعي: حُتم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحُجج.<sup>13</sup>

وأما أهل البادية فقد استمر علماء اللغة يدونون لغاتهم حتى فسدت ألسنتهم في القرن الرابع الهجري.<sup>14</sup>

فعصر الاحتجاج بكلام العرب يبدأ من حوالي مئتي عام قبل البعثة ويستمر تقريباً إلى سنة مئة وخمسين للهجرة في المدن، وإلى سنة ثلاث مئة في البدو، وهذا حدُّ تقريبيٌّ، فلو وجد أحدُ الفصحاء في المدن

<sup>10</sup> - انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله الدرويش. (دمشق، دار يعرب (2004). ج: 2. ص: 368.

<sup>11</sup> - الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. بتحقيق: عبد السلام هارون. (القاهرة، طبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965). ج: 1. ص: 53.

<sup>12</sup> - إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنايني القرشي، شاعر غزل من سكان المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي، فأجازه، ثم وفد على أبي جعفر المنصور العباسي، ولأبي بكر محمد بن يحيى الصولي كتاب في أخبار ابن هرمة. انظر: -الزركلي، خير الدين. الأعلام. (بيروت، دار العلم للملايين، 2002) ط: 15. ج: 1. ص: 50.

<sup>13</sup> - السيوطي، جلال الدين. الاقتراح في أصول النحو. بتحقيق: علاء الدين عطية. (دمشق، دار البيروتي (2007). ص: 123.

<sup>14</sup> - انظر: أصول النحو، سعيد الأفغاني، المرجع السابق. ص: 20.

بعد هذه المدة كالإمام الشافعي مثلاً - المولود سنة 150هـ والمتوفى سنة 204هـ - وقد نصّ العلماء على الاحتجاج بلغته = فكلامه حُجَّةٌ يُستشهد به في اللغة.<sup>15</sup>

وما روي بعد هذه الفترة من كلام الشعراء أو الأدباء لا يُسمى شاهداً لغوياً، بل يُسمى مثلاً.

ويذكر السيوطي: أول الشعراء المُحدثين الذين لا يُحتج بكلامهم = بشار بن بُرد (ت: 168هـ)<sup>16</sup>، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقريباً إليه؛ لأنه كان هجاء لتركه الاحتجاج بشعره.<sup>17</sup>

### أفصحُ العرب الذين يُحتج بكلامهم:

يقول ابن فارس: "أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرؤاة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحامهم = أن قُرَيْشاً أفصحُ العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً، وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً ﷺ فجعل قُرَيْشاً قُطَّانَ حَرَمِهِ وجيران بيته الحرام ووُلاته، فكانت وفود العرب من حُجاجها وغيرهم يَفِدُونَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ، ويتحاكمون إِلَى قُرَيْشٍ فِي أُمُورِهِمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَعْلَمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ وَتَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.

ولن تزل العرب تَعْرِفُ لِقُرَيْشٍ فَضْلَهَا عَلَيْهِمْ وَتَسْمِيَهَا أَهْلَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُم الصَّرِيحُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ تَشْبُهْهُمْ شَائِبَةً، وَلَمْ تَنْقُلْهُمْ عَنْ مَنَاسِبِهِمْ نَاقِلَةً، فَضِيلَةٌ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لِهِمْ وَتَشْرِيفًا، إِذْ جَعَلَهُمْ رَهْطَ نَبِيِّهِ الْأَدْنِيِّ، وَعَثْرَتَهُ الصَّالِحِينَ.

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها وريقة ألسنتها = إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلاتقهم التي طبخوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب".<sup>18</sup>

15 - يقول عنه المازني النحوي شيخ المبرد: "الشافعي عندنا حجة في النحو".

انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي. تحقيق: السيد أحمد صقر. (القاهرة، مكتبة دار التراث (1971) ج: 3. ص: 41.

16 - بشار بن بُرد الغفيلي بالولاء، أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان (شمال أفغانستان) ونسبته إلى امرأة غفيلية، قيل إنها اعتنقت من الرق، وكان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق، جُمع بعضه في (ديوان مطبوع بثلاثة أجزاء، واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة.

انظر: الأعلام، المرجع السابق، ج: 2. ص: 52.

17 - الاقتراح في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 122.

18 - ابن فارس، أحمد. الصحاحي في فقه اللغة. بتحقيق: السيد أحمد صقر. (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (1977). ص: 33.

## أشهر القبائل العربية التي أخذت اللغة عنها ووضعت قواعد النحو منها وهم

قريش، بنو تميم، وقيس، وطية، وأسد، وهذيل؛ لكونهم من سُكَّان البراري والصحاري، فهم أبعد الناس عن العجم والعجمية، وأشد الناس حرصاً على لغتهم وعاداتهم. بخلاف بقية القبائل التي سكنت في أطراف البلاد العربية من أهل العراق والشام ومصر؛ فإنهم قد خالطوا الفرس والسُريان والحبشة وأهل الهند، فسرى إليهم شيء من عجمتهم ولغاتهم، ولذلك ما أخذ العلماء اللغة عنهم.<sup>19</sup>

## أنواع الكلام الذي يُحتج به في إثبات القواعد النحوية والصرفية

يبحث علماء أصول النحو عن الاحتجاج في كتبهم بباب السماع عن العرب، يقول الإمام السيوطي: "ونعني بالسماع ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل هذا كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وهو أفصح كلام وأبلغه، وكلام نبيه ﷺ وهو الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده - إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين - نظماً ونثرًا من مسلم أو كافر. فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت".<sup>20</sup>

### 1) الاحتجاج بالقرآن الكريم

لقد حظي القرآن الكريم بالعناية والضبط والاتقان في الرواية ما لم ينله أي نص لغوي عبر التاريخ، فتواترت رواياته واعتنى العلماء بضبطها بالمشافهة عن أفواه العلماء الفصحاء، فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصلت إلينا في أداء الحركات والسكنات، فهو كلام الله وهذا العامل الديني في هذا النص جعل الأمة تعتنى بحفظه وضبطه غاية الضبط، وكان أئمة القراءات هم أئمة النحو واللغة؛ كأبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي قارئ البصرة، والكسائي وخلف الأحمر قارئ الكوفة.

يقول السيوطي عن الاحتجاج بالقرآن: "أما القرآن الكريم فكل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً، فالقرآن الكريم - كما قيل - فوق النحو، والفقه، والمذاهب كلها، فهو أصل الأصول، وما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مردودٌ ومردولٌ، وذلك أن لغة القرآن الكريم هي أفصح أساليب العربية على الإطلاق، وأن الكتاب أعربٌ وأقوى من الشعر،

<sup>19</sup> - انظر: الفارابي، أبو النصر. كتاب الحروف. تحقيق: محسن مهدي. (بيروت، دار المشرق، 1990). ص: 147.

<sup>20</sup> - الاقتراح في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 67.

وقد أطبق الناس؛ يعني: أجمعوا على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة، وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه".<sup>21</sup>

## (2) الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

إذا أطلق لفظ الحديث الشريف في اصطلاح المحدثين أُريد به ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير.<sup>22</sup>

أما الحديث الشريف عند النحاة: فهو الأقوال التي رويت عن رسول الله ﷺ، وإنما يهتم النحويون بالقول؛ لأنه موضوع النحو، ومرجع أحكامهم واحتجاجهم.<sup>23</sup>

ومع اجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي أفصح العرب قاطبة، وأن كلامه لا يتقدمه شيء في باب الاحتجاج إذا ثبت أنه من لفظ النبي، لكنه انقسموا في الاحتجاج بالحديث إلى مانعين، ومُجيزين، ومتوسطين:

فأول من منع الاستشهاد بالحديث النبوي هو ابن الصائغ الأندلسي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (ت: 680 هـ) ثم تلميذه أبو حيان الأندلسي، وإنما تركوا ذلك لعدم وثوقهم أن تلك الألفاظ هي من قول رسول الله وذلك لأمرين:<sup>24</sup>

**الأول:** أن المحدثين قد أجازوا نقل كلام النبي بالمعنى فلذلك تجد قصة واحدة جرت في حياة النبي تنقل بألفاظ مختلفة، كحديث المرأة التي عرضت نفسها على النبي، فقال له رجل: زوجنيها يا رسول الله، فقال له النبي: "زوجتكها بما معك من القرآن"، وفي رواية أخرى: "ملككتكها بما معك من القرآن"، وفي رواية: "خذها بما معك من القرآن"، وفي رواية: "أمكناكها بما معك من القرآن". والحادثة واحدة! فرسول الله لم يلفظ بجميع هذه الروايات قطعاً، بل إن الرواة قد أتوا بالمترادفات.

**والثاني:** أنه وقع اللحن فيما روي من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة لم يكونوا عربياً، أو كانت

بضاعتهم قليلة في علم النحو.

<sup>21</sup> \_ الاقتراح في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 68.

<sup>22</sup> - انظر: سراج الدين، عبد الله. شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث. (حلب، دار الفلاح 2009). ص: 7.

<sup>23</sup> - انظر الاقتراح، المرجع السابق، ص: 43-46.

<sup>24</sup> - انظر تفصيل ذلك في الاقتراح للسيوطي، المرجع السابق، ص: 74-75.



ثم جاء إمام المتأخرين محمد بن عبد الله بن مالك، فأكثر من الاستدلال والاحتجاج بالحديث الشريف لاسيما في كتابه التسهيل، وتبعه في ذلك ابن هشام في كتبه، وردوا على اعتراضات ابن الضائع وغيره بردود:

(1) أن الأصل في رواية الحديث باللفظ، وإن حصلت الرواية بالمعنى فالذي غير بعض الألفاظ هو عربي يُحتج بكلامه؛ لأن تدوين الحديث بدأ في زمن سيدنا عمر بن عبد العزيز سنة (101هـ) لما أمر العلماء بجمع الحديث وكتابته وحفظه من الضياع والتغيير، فتحرى العلماء في ضبط ألفاظ الحديث، ثم انتشرت الكتابة والتدوين وضبط الألفاظ بعد هؤلاء، فإن وقع غلط أو تصحيف أو تحريف فهو نزر قليل لا حكم له، وكثير من الأشعار التي رويت ويحتج بها قد رويت بروايات مختلفة بل وبعضها موضوع لا سند له ولا يعرف قائله!

(2) وأما وقوع اللحن في بعض روايات الحديث فهو شيء قليل جداً لا يُبنى عليه حكم الرد، وقد تنبه إليه العلماء وتجنبوه ولم يحتج به أحد،<sup>25</sup> فمن الاجحاف وعدم الانصاف أن يُمنع الاحتجاج بهذا الفيض الكبير من الأحاديث النبوية الصحيحة المضبوطة المسندة المحفوظة بسبب هذه الحالات القليلة التي وقع أمثالها في الشعر أيضاً.

(3) وأما القول بأن بعض رواة الحديث أعاجم فليس بشيء؛ لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر العربي الذي يحتج بهما، فإن فيهم الكثير من الأعاجم.<sup>26</sup>

فأما الذين توسطوا في الحكم فمنهم الإمام السيوطي والإمام الشاطبي، فقد قالوا بالاحتجاج بالحديث النبوي ولكن بشرط ثبوت لفظه عن رسول الله ﷺ، وذلك نادر جداً، ومنعوا الاحتجاج بالأحاديث المروية بالمعنى.

يقول السيوطي: "وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله ﷺ على اللفظ المروي، وذلك نادر جداً، وإنما يوجد في الأحاديث القصار."<sup>27</sup>

25 - بل ذكر العلامة جمال الدين القاسمي عندما روى حديث: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، قال: ومن لحن في كلام النبي فقد كذب عليه.

-انظر ذلك: القاسمي، جمال الدين. قواعد التحديث في فن مصطلح الحديث. (بيروت، دار الكتب العلمية). ص: 156.

26 - انظر تفصيل ذلك عند: فجال، محمود. الحديث النبوي في النحور العربي. (الرياض، دار أصول السلف (1997). ص-ص: 101-110.

27 - انظر الاقتراح، المرجع السابق، ص: 74.

ويقول الشاطبي في شرحه للألفية: "وأما الأحاديث فعلى قسمين: قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان، وقسم عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالأحاديث التي قُصد بها بيان فصاحته ﷺ ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حُجر، والأمثال النبوية، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية"<sup>28</sup>

### 3) الاحتجاج بكلام العرب

وأما العرب الذين يحتج بكلامهم فهم أهل عصر الاحتجاج وقد مرّ ذكرهم آنفاً، وكلام العرب شعر ونثر، ولو نظرنا في كتب اللغويين ومعاجمهم لوجدناهم أكثر استشهاداً بالشعر والنثر على السواء، ومن ثمّ نجد النحاة يكادون يقتصرون في استشهادهم على الشعر، وأما النثر فهو عندهم نزر يسير، وهذا ما يجعل استقراء النحاة استقراء ناقصاً في الحكم على بعض اللغات أنّها ضرورة أو شاذة أو نادرة.<sup>29</sup>

### 3. خاتمة

#### في بعض قواعد الاحتجاج بكلام العرب<sup>30</sup>

- لا يُشترط في العربي الإسلام، بل اعتمد في العربية على أشعار العرب الجاهليين وهم كفار؛ لأن العرب كانت تحافظ على لغتها كما تحافظ على أموالها وأعراضها، ولكن يشترط في الراوي عنهم أن يكون عدلاً صدوقاً.

- يُقبل ما ينفرد به الفصيح عن غيره من العرب؛ لاحتمال أن يكون قد سمع لغة قديمة قد ذهبت - اللهجات العربية عند القبائل على اختلافها كلها حجة، فإننا نرى الحجازيين يعملون ما النافية عمل ليس، وبنو تميم يجعلونها حرف نفي مهمل، وكلا اللغتين صحيح يقبله القياس.

- إذا طرأ على الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال، وذلك كرد أبي حيان على ابن مالك استدلاله على استعمال كلمة "الأخ" بالقصر؛ أي: بالألف رفعاً وجرّاً ونصباً، في قول الشاعر:

أخاك الذي إن تدعه لِمُلْمَةٍ # يُجِبُّكَ بما تبغي، ويكفك من يبغي

<sup>28</sup> - انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى. المقاصد الشافية شرح الخلاصة الكافية. تحقيق: مجموعة من الباحثين. (مكة المكرمة، مركز البحوث العلمية بجامعة أم القرى 2007). ج: 1. ص: 122.

<sup>29</sup> - انظر: أصول النحو لسعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص: 60-61.

<sup>30</sup> - انظر: الاقتراح، المرجع السابق، ص: 55. وأصول النحو للأفغاني، المرجع السابق، ص: 62.

- فقال أبو حيان: ولا دليل فيه لأنه يَحتمل أن يكون منصوباً بإضمار فعل، والتقدير: الزم أخاك، وإذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال.<sup>31</sup>
- لا يُحتج في اللغة بكلام المولدين أو المحدثين من الشعراء الذين عاشوا بعد عصر الاحتجاج.
- لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله، كما نصَّ على ذلك ابن الأنباري في كتابه الإنصاف<sup>32</sup>، وعلّة ذلك خوف أن يكون لمولد أو من لا يوثق بفصاحته، إلا إذا رواه عربي ممن يُحتج بكلامه، أو رواه أحد الأعلام الكبار في كتابه كسيبويه أو الخليل، وقد استشهد سيبويه في كتابه بأكثر من خمسين شاهداً لم يُعرف لها قائل.<sup>33</sup>
- لا يُبنى حكم على شاهد قبل التحري من ضبطه، كالرجوع إلى ديوان صاحبه إن كان شعراً، أو إلى كتب من رواه من العلماء الأثبات كالأصمعي وابن سلام وغيرهم؛ لأن كثيراً من الشواهد رويت في كتب النحاة محرّفة، فلا بد من تحريه وضبطه.<sup>34</sup>

### نتائج البحث

- (1) سبب ظهور علم النحو وضبط قواعد اللغة العربية = انتشار اللحن بين العرب، والخوف على الشريعة من التحريف بسبب الخطأ في فهم نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف.
- (2) عصر الاحتجاج: هي المدة الزمنية التي كانت اللغة العربية تُنطق من ألسنة العرب سليمة من اللحن والخطأ ووصلت إلينا هذه اللغة. وتُقدر بثلاثمئة وخمسين عاماً في المدن، وخمسمئة عام في البدو؛ مئتي عام في الجاهلية، ومئة وخمسين عاماً أيام الإسلام في المدن، وثلاثمئة عام أيام الإسلام في البدو.
- (3) قبيلة قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وقد نزل القرآن بلغتهم.
- (4) أشهر القبائل العربية التي أخذت اللغة عنها ووضعت قواعد النحو منها: قريش، بنو تميم، وقيس، وطيء، وأسد، وهذيل.
- (5) الشاهد في النحو: هو كلام العربي الفصيح شعراً ونثراً مسلماً كان أو غير مسلم، من العرب الذين عاشوا في هذه المدة الزمنية؛ كشعر أصحاب المعلقات ونثر أصحاب الخطب والحكم التي رويت إلينا.

<sup>31</sup> - انظر: الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف. التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: حسن هندراوي. (دمشق: دار القلم 1996). ج: 1. ص: 166.

<sup>32</sup> - انظر: ابن الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد. الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: المكتبة العصرية 2003). ج: 1. ص: 282. وج: 2. ص: 355. وص: 373.

<sup>33</sup> - انظر: الاقتراح، المرجع السابق، ص: 60-61.

<sup>34</sup> - أصول النحو للأفغاني، المرجع السابق، ص: 70.

- (6) **والمثال في النحو:** هو كلام العربي الفصيح شعراً ونثراً من الذين عاشوا بعد هذه المدة؛ كالمثني وأبي العلاء المعري.
- (7) أنواع الكلام العربي الذي يحتج به في علم النحو:
- (8) القرآن الكريم، الحديث الشريف، كلام العربي الفصيح في عصر الاحتجاج شعراً ونثراً.
- (9) الحديث النبوي الشريف حجة في النحو ولو كانت الرواية بالمعنى؛ فإن تدوين وضبط الحديث الشريف كان في مطلع القرن الثاني الهجري، أي في عصر الاحتجاج، وألفاظ الحديث قد كتبت في هذا العصر، فيحتج بها وإن كانت من غير لفظ رسول الله ﷺ، وما وقع من اللحن أو الخطأ فيها نادر، كاللحن والخطأ الذي وقع في رواية الشعر، والنادر لا حكم له. فلا يجوز إلغاء الاحتجاج بالحديث الشريف، كما قرره العلامة ابن مالك وابن هشام.
- (10) لا ينبغي الاقتصار في بناء القاعدة النحوية على الشواهد الشعرية فقط وإهمال الشواهد النثرية، واعتبار ما خرج عنها شاذ أو نادر، كما فعله كثير من النحاة؛ فذلك استقراء ناقص في اللغة يجعل القواعد النحوية محل نقد ونظر، بل ينبغي اعتبار جميع الشواهد الشعرية والنثرية على حدّ سواء.
- ينبغي تخريج جميع الشواهد النحوية التي وردت في كتب النحاة، فأكثرها لا يعلم قائلها، فلا يصح الاحتجاج بها، كما ينبغي البحث عن شواهد متعددة معروفة للقائل للقاعدة الواحدة وعدم الاقتصار على شاهد واحد فقط.
- (11) يجب ضبط جميع الشواهد النحوية من مصادرها الشعرية والأدبية، فكثير من النحاة يتناقلون الشاهد مع الخطأ في روايته.

#### 4. المراجع

ابن جني، عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1952).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (القاهرة: دار التراث 1980).

ابن فارس، أحمد. الصحاحي في فقه اللغة. بتحقيق: السيد أحمد صقر. (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1977).

أحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار. المعجم الوسيط. (القاهرة، مجمع اللغة العربية 2004).

الأصفهاني، أبو الفرج. كتاب الأغاني. (القاهرة، دار الكتب المصرية 1952)

الأفغاني، سعيد. في أصول النحو. (بيروت، المكتب الإسلامي 1987).

فجال، محمود. الحديث النبوي في النحور العربي. (الرياض، دار أصول السلف 1997).

القاسمي، جمال الدين. قواعد التحديث في فن مصطلح الحديث. (بيروت، دار الكتب العلمية).

ابن الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد. الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين

البصريين والكوفيين. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: المكتبة العصرية

2003).

ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله الدرويش. (دمشق، دار يعرب

2004).

الأندلسي، أبوحيان، محمد بن يوسف. التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: حسن

هنداوي. (دمشق: دار القلم 1996).

البیهقي، أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي. تحقيق: السيد أحمد صقر. (القاهرة، مكتبة دار التراث 1971)

انظر: الفارابي، أبو النصر. كتاب الحروف. تحقيق: محسن مهدي. (بيروت، دار المشرق، 1990).

انظر: سراج الدين، عبد الله. شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث. (حلب، دار الفلاح 2009).

الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. بتحقيق: عبد السلام هارون. (القاهرة، طبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965).

الحَميرى، نشوان بن سعيد. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: حسين العمري. (دمشق، دار الفكر 1999).

الزركلي، خير الدين. الأعلام. (بيروت، دار العلم للملايين، 2002) ط: 15.

السيوطي، جلال الدين. الاقتراح في أصول النحو. بتحقيق: علاء الدين عطية. (دمشق، دار البيروتي 2007).

الفيومي، أحمد بن محمد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (بيروت: المكتبة العلمية)

المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من الباحثين. (بيروت، دار إحياء التراث العربي 1984).